٧ ـ رحلة إلى الهنـــــد

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

وأما القلعة ، فساحة واسعة جداً وأسوار عالية مشرفة من بعض جهاتها على نهر جمنة وتشـــتمل على مساكن ودواوين ومقصورات وقنوات . لا يحيط بها الوصف إلا في كتاب كبير مصوّر يكتبه خبير بالعمارة فحسبي أن أعرض على القارىء مايدركه الزائر غير الخبير في زيارة قصيرة عاجلة

يلج الداخل الباب الكبير إلى دهليز فيه حوانيت للتجار ثم يدخل إلى ساحة يرى فيها ثكنات بناها الإنجليز وهي باعترافهم دعامة بين هذا الجمال ، وعرّة وسط هذه الغرر .

ثم يجتاز إلى أبنية كثيرة لا أستطيع أن أذكرها على الترتيب . فأذكر الديوان العام ، وهو مجلس السلطان لعامة الرعية للنظر في المظالم أو غيرها من الأمور العامة . وهو دكة من الرخام عليها سقيفة تحملها عمد من الحجر الأحمر قد أبدع الصناع في أشكالها ونقوشها [1] وسمته مائة قدم في ستين . وكان فيه عرش الطاووس (تخت طاروس) وهو عرش يظلله ذنبا طاووسين ألوانهما من الجواهر المختلفة وفيه من دقائق الصنعة والأحجار الكريمة ما يشهد للصناعة والفن في ذلك العصر . وقد قوّمه من رآه من الخبراء بستة ملايين جنيه وقد حمل هذا العرش فيما نهب من ذخائر دهلي ونفائسها نادرشاه القائد العظيم الذي ملك على إيران بعد زوال الدولة الصفوية واستيلاء الأفغان عليها ، فأخرج منها الأفغان ومد فتحه صوب الشرق إلى الهند .

وفي القلعة ديوان أصغر من هذا وأجمل منحوت كله من المرمر يسمى الديوان الخاص وفيه من النقش والتطعيم بالأحجار الكريمة ما يفتن الناظر ، بجمال الشكل ، ودقة الصنع . وقد بلغ فن العصر المغولي ذروته في هذا الديوان . ولا أنسى هذا البيت الفارسي الذي يزين هذا الجمال بجودة خطه وتذهيبه ، ويعرب عن هذا الجلال بمعناه . وهو منقوش في أكثر من موضع من الديوان :

اگر فردوس بروی زمین است همین است وهمین است وهمین است

(إن يكن الفردوس على الأرض فهكذا وهكذا وهكذا) .

الديوان الخاص في قلعة دهلي

وهناك بناء فيه حجر جميلة يسمى رنك محل (المحل الملون) وهو مزين بالنقوش محلى بالأشكال . ولكن ذهب الزمان بأكثر طلاه ويمتـــد منه إلى بناء آخر مجرى للماء رخامي يمثل قاعه ترقرق الماء عليه .

وأبنية أخرى منها البرج المثمن وكان يجلس السلطان في شرفته كل صباح فيشرف على الجمهور وكانت هذه عادة سلاطين المغول

ومنها الحمام (غسل خانه) وهو حجرات ثلاث في إحداها حوض صغير يخرج منه بخار معطر وفي الأخريين أحواض للاغتسال من المرمر بينها مجار أنيقة للماء الحار والبارد وفي إحداها قطعة من المرمر كبيرة كانت مصلى للسلطان بعد الفراغ من الاستحمام .

ورأينا حجرات هناك لجلوس السلطان ونومه وفي إحداها وسائد وملابس كأن شاهجهان لا يزال بها . وليس بها إلا الأثر والذكر ويد الزمان الأعسر .

وهناك مسجد صغير يسمى موتي مسجد (مسجد اللؤلؤة) بناه أورنك زيب ابن شاهجهان وهو كاسمه لؤلؤة كبيرة ولكنها من المرمر الأبيض . ويخيل لرائيه أنه قطعة واحدة كبيرة من المرمر فصلتها يد النحات الصنع قباباً وعمداً ومحراباً ومنبراً .

(١) وكان سقفه وجدره منقوشة بالذهب